

الفتنة الطائفية

الجذور .. الواقع .. المستقبل

دكتور
راغب السرجاني

أقلام
AQLAM



الفتنة الطائفية في مصر

الجذور.. الواقع.. المستقبل

أ. د.









الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

السرجاني، راغب

الفتنة الطائفية في مصر تأليف/ راغب السرجاني

ط١، القاهرة، أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١١

٨٠ ص، ١٢ سم تدمك: ٩ -٠٢- ٥١٣٧- ٩٧٧- ٩٧٨-

١ - الصراع الطائفي ٢ - التعصب الديني

العنوان ٣٠١،٦٣٥

رقم الإيداع: ٢٠١١/١٠٩٤٠



www.aqlamonline.net

مقدمة



لا ينكر عاقل أن مصر الآن تعيش أجواء فتنة حقيقية بين المسلمين والنصارى..

ولعلَّ أكثر ما يُثير مشاعر القلق في نفسي وفي نفوس الكثيرين من الغيورين على مستقبل هذا الوطن هو أن الفتنة هذه المرَّة تطلُّ علينا من جانب الدين والعقيدة، وما أدراك ما العقيدة ومكانتها؟! ليس في قلوب المسلمين فقط؛ بل وفي قلوب البشرية كلها.

فالعقيدة هي المشترك الأسمى بين الناس وأهم ما يتميَّز به الإنسان، وأغلى ما يمتلك، وأفضل شيء يُعطيه «هوية» معيَّنة، وهي أقوى رباط بين اثنين أو بين شعبين، فيشعر أبناء العقيدة الواحدة بالانتماء إلى أبناء عقيدتهم الذين عاشوا قبلهم بألف عام، ويشعرون بالانتماء لأبناء عقيدتهم الذين ينتسبون إلى

أعراق مختلفة، ويشعرون كذلك بالانتماء لأبناء عقيدتهم الذين يعيشون في أرض بعيدة، أو في ظروف اقتصادية مختلفة تمام الاختلاف.. إنها الرابط الأسمى الذي لا يعلوه رابط، خاصة في الأوساط التي تشهد صحوة دينية، وعودة إلى الأصول.

يلخص هذه الأهمية موقف مصعب بن عمير[١] رضي الله عنه عندما مرَّ يوم بدر بأخيه أبي عزيز بن عمير بن هاشم[٢] وهو أسير لأحد الأنصار، فقال: شُدَّ يديك به؛ فإن أُمَّه ذات متاع لعلَّها أن تفتديه منك. فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: يا أخي هذه

---

(١) مصعب بن عمير: هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف العبدري القرشي، من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين إلى الإسلام، وقد امتحن في إسلامه وصبر، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرًا، وبعثه رسول الله سفيرًا إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويعلمهم الدين. استشهد في غزوة أحد ٣هـ= ٦٢٥م. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ١٣٢، وابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ١٤٧٣.

(٢) أبو عزيز بن عمير: أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف العبدري القرشي، اسمه زرارة، له صحبة وسماع من النبي ﷺ، واتفق أهل المغازي على أنه أُسِرَ يوم بدر مع مَنْ أُسِرَ من المشركين، وذُكر عنه قوله: كنت في الأسارى يوم بدر، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**استوصوا بالأسارى خيرًا**». انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٢٧٤، وابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ١٧١٤، ١٧١٥.

وصاتك بي؟! فقال له مصعب: إنه أخي دونك [١].

إن ما قاله مصعب بن عمير ﷺ في هذه القصة ليس غريبًا ولا عجيبًا، فمن أجل العقيدة يترك الناس أهلهم وعشائرهم، ومن أجلها يتركون ديارهم وأوطانهم، ومن أجلها يدفعون أموالهم وثرواتهم، فلا غرو أن تكون أسمى ما يمتلك الإنسان؛ ولذلك أطلقتُ على هذه العقيدة اسم «المشترك الأسمى» [٢].

العقيدة هي أصعب ما يمكن أن يُغَيِّره الإنسان؛ فقد يُغَيِّر الإنسان عمله أو بلده أو حتى شكله، لكن لا يقبل بتغيير عقيدته إلاَّ في ظروف ضيقة جدًّا، وعادة ما يكون هذا بعد تغيير كامل في قناعات الإنسان.

إنه من الثابت حقًّا أنَّ تغيير جزئية في العقيدة أمر صعب للغاية، بل المفترض أنه مستحيل.. فأصحاب الأديان -سواء

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ٣/ ١٩٥، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار التراث - بيروت، ط٢: ١٣٨٧هـ، ٢/ ٣٩، وابن كثير: السيرة النبوية ٢/ ٤٧٥.

(٢) للمزيد انظر (فصل المشترك الأسمى) في كتابنا: المشترك الإنساني..نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، مؤسسة اقرأ - مصر، ط١: ١٤٣٢هـ = ٢٠١٠م.

السماوية أو الوضعية- يعتقدون أن هذه العقائد والتشريعات هي من عند الإله، وبالتالي ليس هناك مجال لتغييرها، ولا نملك ذلك، ولا نقدر عليه؛ ومن هنا فليس هناك معنى أن نسعى إلى فكرة الالتقاء في منتصف الطريق، وليس هناك معنى لما يُسَمَّى بوحدة الأديان، أو دمج الأديان؛ لأن هذا يعني تكوين عقيدة جديدة لن يرضى عنها الجميع..

فما الحلُّ؟!

هل أصبح الصدام حتميًّا هكذا؟!

أبدًا..

إن الحلَّ الأمثل هو أن «يقنع» كل البشر أن العنف والجبر لن يُغيِّر من عقيدة إنسان، بل سيقود إلى دمار وخراب، ومن هنا جاء قول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وجاء كذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، والذي يُعلن عن اعتناق عقيدة معينة تحت سيف القهر، ونتيجة ضغوط الإكراه ليس في الحقيقة معتنقًا لهذه العقيدة الإكراهية، إنما يعتقد عقيدته الأصلية في السرِّ، بل

لعلَّه ازداد تمسُّكًا بها، وسينقلب لا محالة إلى قنبلة موقوتة تنتظر فرصة الانفجار.

وقد يظن أحد البسطاء أن هذا الاختلاف يمكن حسمه بالحرب بهدف توحيد البشر على عقيدة واحدة، لا يا سيدي، الأمر ليس بهذه البساطة بل قد يُؤَدِّي هذا الأمر إلى فناء العالم بكامله.. نعم؛ فحروب العقيدة هي أشرس حروب الدنيا، وأشدها دموية؛ لأن الإنسان ليس عنده مانع من أن يفقد حياته في سبيل عقيدته، بل إن الموت في سبيل العقيدة غاية عند كثير من أتباع الديانات؛ وبالتالي فموت بعض الأفراد ليس نهاية الحرب، إنما الحرب لا تتوقف إلاَّ بالفناء!

ولذلك على العقلاء في العالم تجنُّب الحروب العقائدية قدر ما يستطيعون، فلا يُكْرِه أحدٌ أحدًا على تغيير دينه، أو تبديل عقيدته؛ لأن الطرف الذي أُكْرِه سيكون له كامل الحقِّ في الزَّوْدِ عن عقيدته في هذه الحالة، ولن تتوقف الحرب أبدًا[١].

---

(١) للمزيد انظر (فصل المشترك الأسمى) في كتابنا: المشترك الإنساني..نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب.

وللحق فقد فطن إلى هذه الحقيقة الحكماء من المسلمين والنصارى(١) على السواء فعملوا سويًّا على التهدئة قدر المستطاع، ونزع فتيل الأزمات ذات البعد الطائفي في كثير من الأحيان قبل انفجارها؛ تقديرًا منهم لخطورة تحوُّل الأمر إلى حرب عقائدية، ويقينًا منهم أن اشتعال الفتنة الطائفية في مصر ستكون بمثابة «الحالقة» التي ستقضي على أي بادرة أمل في تحقيق نهضة حقيقية في هذا البلد.

لكن يأبى أعداء هذا الوطن -في الداخل والخارج- أن يتركوه ينعم بحرية أو أمن أو استقرار، فتراهم يبذلون كامل جهدهم لتعويق نهضته بشتى السُّبل، ولعلَّ أخطرها تذكيتهم

---

(١) النصارى المراد بهم: أتباع عيسى عليه السلام؛ قيل: سُمُّوا نصارى نسبة إلى البلد: الناصرة في فلسطين، أو من قوله تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، ويقول آخرون: لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، فاسمهم في الكتاب والسُّنَّة: النصارى. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١: ١٤٢٣هـ، ١/ ٤٦٢، والطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م، ٢/ ١٤٥، وصالح الفوزان: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، مؤسسة الرسالة، ط٣: ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م، ١/ ٢٧١، ٢/ ١٧١.

لنار الفتنة حتى تحرقنا جميعًا.

وفي رأيي أن تعريف الفتنة في حالتنا المصرية هي أزمة أو معركة أو صدام لا يستطيع المحللون والمراقبون لأحداثها التحديد وبوضوح الحق مع أي طرف من أطراف النزاع، كما أن الفتنة قد تكون مدبَّرة بفعل فاعل، أو تكون بشكل عفوي دون إعداد مسبق، وغالبًا ما تنشأ الفتنة في أجواء التوتُّر والاضطراب، كما يُشَكِّل نقص المعلومات أحد أهم العوامل الرئيسية لتأجيج الفتنة.

كما أننا يقينًا لن نستطيع فهم أبعاد قضية الفتنة الطائفية في مصر إلا إذا عدنا إلى جذورها، وتعرَّفنا على قصة العلاقة بين المسلمين والنصارى في مصر منذ بدايتها..

* * *



نظرة تاريخية

عندما اشتدَّ القتال بين المسلمين والدولة الرومانية بقيادة «الأرطبون» الذي كان من أدهى قواد الروم، وقال عنه عمر بن الخطاب: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب[1]. يقصد عمرو بن العاص، وبالفعل زحف عمرو بن العاص نحو مصر حينما علم بسفره إلى مصر حتى وصل إلى حصن بلبيس، فوجد قوة كبيرة من الروم هناك ومعهم قائدهم أرطبون، وحاصروا الحصن لمدة شهر حتى فتح الله على المسلمين وقتل أرطبون[2].

وتحققت بشارة النبي محمد ﷺ بفتح مصر كما ورد في

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٦٠٥، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١: ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م، ٢/ ٣٢٨، وابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١: ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ٧/ ٦٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ١١٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ١/ ٢٤.

صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهريِّ، قال: سمعت أبا ذرٍّ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا...**»(١).

لاقى نصارى مصر القوات الإسلامية التي طاردت قوات الاحتلال الروماني بأرض مصر والشمال الإفريقي بمشاعر الارتياح لنجدتهم من الاضطهاد الروماني، الذي عانوا ويلاته طوال ستة قرون كاملة!

وكتب عمرو بن العاص كتابًا للمصريين يُوَضِّح فيه مبادئ الإسلام السامية:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان لأنفسهم وملتهم وأموالهم، وكنائسهم وصليبهم، وبَرِّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص... ومَنْ دخل في صلحهم من الروم والنوب -أهل النوبة-

(١) مسلم: كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، (٢٥٤٣)، صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ومسند أحمد (٢١٥٦٠)، مؤسسة قرطبة - القاهرة.

فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومَنْ أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذمة المؤمنين...»[١].

لقد كان من أهمِّ عوامل نجاح الفتح الإسلامي هو دور المخلِّص الذي لعبه الفاتحون بالنسبة للنصارى، ويكفي أن يذكر التاريخ أن بطريرك النصارى (بنيامين) الهارب في الصحراء عشر سنوات كاملة، لم يَعُدْ إلى كرسي البطريركية ويأمن على نفسه ويستقرّ إلاَّ بعد الفتح الإسلامي، وبسيوف المسلمين وفي حمايتهم، بل لقد وضع هذا الفتح نهايةً للمذابح والاضطهادات التي شَنَّتْهَا أوربا على نصارى مصر، فيما سُمِّيَ بعصر الشهداء[٢]!

وفي مقابل الاضطهاد الروماني وجد المصريون من المسلمين الفاتحين الأخلاق الكريمة والعدالة والكرامة الإنسانية والتسامح، فلم يجبروهم على ترك النصرانية والدخول في الإسلام، بل اختار أهل

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٠٩، وابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ١١٢، ١١٣، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ٢٤، ٢٥.

(٢) محمد جلال كشك: ودخلت الخيل الأزهر، الزهراء للإعلام العربي - القاهرة، ط٣: ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، ص٣٢١، ٣٢٢.

مصر الإسلام طوعًا، والدليل على ذلك أن تحوُّل أغلبية المصريين إلى الإسلام استغرق عقودًا طويلة؛ فلقد كان تعداد سكانها من النصارى واليهود عند الفتح الإسلامي في عام (٢٠هـ=٦٤١م) حوالي ٢,٥ مليون مصري، وفي نهاية عهد معاوية بن أبي سفيان -أي بعد نحو نصف قرن من الفتح الإسلامي- كان قرابة نصف المصريين لا يزالون على نصرانيتهم؛ حيث كان عددهم يزيد عن مليون مصري، وفى نهاية عهد هارون الرشيد عام (١٩٣هـ=٨٠٩م) -أي بعد مرور قرابة القرنين من الزمان على تاريخ الفتح- كان تعداد غير المسلمين بمصر نحو ٦٥٠,٠٠٠ نسمة، علمًا بأن تعداد المصريين في ذلك الوقت لم يزد كثيرًا عن ٢,٥ مليون نسمة، أي نحو ربع السكان ظلَّ على ديانته[١].

وبمرور الوقت تعايش نصارى مصر مع المسلمين الفاتحين

(١) فيليب فارج، ويوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، ط١: ١٩٩٤م، ص٤٦-٥٢، ولقد كان انتشار الإسلام خارج مصر أبطأ.. ولو أخذنا مصر وسوريا وفارس معًا، فسنجد أن انتشار الإسلام فيها بعد قرن من الفتح لم يتجاوز ١٠٪ من السكان. عن محاضرة الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة، بعنوان: الأقليات غير المسلمة في العالم الإسلامي، ألقاها ضمن فعاليات مؤتمر: حقيقة الإسلام في عالم متغير.

في جوٍّ سادته روح المودَّة، بعدما تدعمت أواصر الثقة فيما بينهما وصارا يشكلان نسيجًا واحدًا فيما نسميه الآن المجتمع المصري بسماته الأصيلة والمتميزة؛ عاش المسلمون والنصارى معًا تحت مظلة الحكم الإسلامي معاني العدالة والمساواة، كما قاسوا معًا مرارة الظلم والاستبداد دون تفرقة؛ مثلما حدث في عهد الحاكم بأمر الله الشيعي الإسماعيلي -هذا المجنون- زعيم الدولة العبيدية الملقبة «بالفاطمية»، الذي تجرَّع المصريون في عهده سوء العذاب والاضطهاد دون أدنى تفرقة[١].

لم يُعَكَّر صفو العلاقة بين المسلمين والنصارى في مصر على طوال تاريخهم القديم، ولم نسمع في هذه الفترة بمصطلح الفتنة الطائفية، الذي يتكرَّر على أسماعنا يوميًّا في أيامنا الحالية، وإن كانت بعض مظاهره تجلَّت في إحدى المراحل الحاسمة من تاريخنا الإسلامي؛ وذلك بالتحديد في فترة الهجمة التترية على العالم الإسلامي؛ عندما قام «هولاكو» الماكر بتعيين قائد يُعَدُّ

(١) انظر للمؤلف: قصة الحروب الصليبية.. من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي، مؤسسة اقرأ - مصر، ط١: ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م، ص١٨، ٣٣.

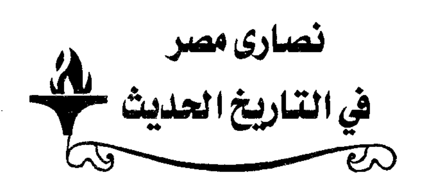
أفضل قواده اسمه «كتبغا نوين» على رأس جيوشه، وكان -فوق إمكانياته القيادية والمهارية- نصرانيًّا، وبذلك يستطيع التعامل مع الأعداد الكبيرة النصرانية المشاركة في الجيش، وذلك إلى جانب محاولته الخبيثة للتأثير على النصارى المقيمين في الدول الإسلامية التي ينوي هولاكو غزوها، وقد وقع نصارى الشام - للأسف- في هذا الفخ وتعاونوا مع كتبغا ضد المسلمين، لكن - وبحمد الله- لم تصل هذه الفتنة إلى مصر[1].

لذلك يمكننا القول: إن العلاقة بين المسلمين والنصارى في مصر ظلَّت على ما يرام طوال تاريخها القديم، إلى أن جدَّ جديد على مصر كان له أعمق الأثر على هذه العلاقة؛ لذا نعدُّه البذرة الأولى للفتنة الطائفية في مصر، هذا الحدث الذي نعرفه جميعًا في تاريخنا باسم الحملة الفرنسية على مصر.

---

(١) انظر للمؤلف: قصة التتار.. من البداية إلى عين جالوت، مؤسسة اقرأ - مصر، ط١: ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م، ص١٢٣، ١٢٤.

نصارى مصر في التاريخ الحديث



منذ بدايات الغزوة الغربية الاستعمارية الحديثة للوطن العربي -قلب العالم الإسلامي- بواسطة الحملة الفرنسية على مصر في عام ١٧٩٨م، كان الإعلان عن مخطط واضح للعمل على استخدام الأقليات في مشروع الهيمنة الاستعمارية على بلادنا، وذلك عندما أعلن نابليون[1] وهو في طريقه إلى مصر عن عزمه على تجنيد عشرين ألفًا من أبناء الأقليات غير المسلمة؛ ليكُونوا مواطئ أقدام وثغرات اختراق تُعينه على بناء إمبراطوريته الاستعمارية الشرقية، إضافة إلى إصداره -أثناء حصاره لمدينة عكا الفلسطينية سنة ١٧٩٩م- نداءً إلى الأقليات

(١) نابليون بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١م): من أشهر القادة العسكريين الأوربيين في العصر الحديث، قاد الحملة الفرنسية ضد مصر، وخاض معارك طاحنة في أوربا، ولم يُهزم في واحدة، إلا معركة واترلو، التي نُفِيَ بعدها إلى جزيرة سانت هيلينا، حيث توفي.

اليهودية في العالم كي تتحالف معه؛ لتحقيق هذا الغرض الاستعماري، مقابل أن يُساعدها على احتلال فلسطين[١].

انخدع أحد النصارى المصريين ويُدعى «يعقوب حنا» بالدعاوِى الفرنسية الزائفة برغبتها في حماية النصارى، فقام ومعه ٢٠٠٠ نصراني -فيما سُمِّيَ «بالفيلق القبطي»- بمساندة قوات الحملة الفرنسية؛ مما يعدُّه التاريخ خيانة لأُمَّتِهم وطائفتهم وكنيستهم.

ولما فشلت الحملة الفرنسية وولَّتْ أدبارها في عام ١٨٠١م، كان الردُّ الإسلامي المتمثل في دولة الخلافة العثمانية على يعقوب الخائن ومجموعته ردًّا يعكس الأخلاق الإسلامية الراقية في التعامل مع غير المسلمين، حتى وإن بَغَوْا علينا، فقد صدر فرمان من الخليفة سليم الثالث «بالعفو» عن الذين استجابوا لهذه الغواية، ومحذِّرًا من الانتقام، ومن فتنة لا تُصيب الذين ظلموا

---

(١) محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل.. الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية، الكتاب الأول، دار الشروق - القاهرة، ط١٠: ١٩٩٦م، ص٣١، ٣٢.

خاصة، ولقد تحدَّث الجبرتي[1] عن هذا المنهاج في مداواة جراح تلك الغواية، فقال: لقد نُودي بأنَّ لا أحد يتعرَّض بالأذية لنصراني ولا يهودي؛ سواء كان قبطيًّا أو روميًّا أو شاميًّا؛ فإنهم من رعايا السلطان... وكُتبت فرمانات وأُرسلت إلى البلاد - مضمونها: الكف عن أذية النصارى واليهود وأهل الذمَّة، وعدم التعرُّض لهم، وفي ضمنها -الفرمانات- آيات قرآنية وأحاديث نبوية، والاعتذار عنهم بأن الحامل على تداخلهم مع الفرنساوية صيانة أعراضهم وأموالهم... وأخرى فيها تنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط، والوصية بهم[2].

ولنا هنا وقفة مع الموقف الفرنسي أو الغربي الاستعماري من المعلم يعقوب وأشباهه على مدار تاريخنا المعاصر.. لقد كانت

---

(١) الجبرتي: هو عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، وُلِدَ في القاهرة (١١٦٧هـ=١٧٥٤م)، وهو مؤرخ مصر ومدوِّن وقائعها، وسيد رجالها في عصره، تعلَّم في الأزهر، وجعله (نابليون) حين احتلاله مصر من الديوان، وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي، ومات في عام (١٢٣٧هـ=١٨٢٢م). انظر: الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٠٤.

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل بيروت، ٢/ ٤٨١-٤٩٣، بتصرف

رؤية فرنسا للدور الذي سيقوم به المعلم يعقوب هذا تتعدى قدرة الرجل أو عدد جنوده، الذين لا يمثلون شيئًا مقارنة بتعداد الشعب المصري، وفي الوقت نفسه هم ليسوا بالعدد المُغري للجيش الفرنسي صاحب العتاد العسكري المتقدم، الذي لم يكن في حاجة إلى مقاتلين، لكن المسألة في حقيقتها لم تَعْدُ مجرَّد محاولة خبيثة من جانب الفرنسيين لشقِّ الصف المصري، وإحداث فتنة تُمَزِّق النسيج الاجتماعي للشعب المصري، وتُشْعل النار بين أبنائه؛ مما يُسهل المهمة أمام المحتل الغازي.

انتهت الحملة الفرنسية وانكسرت موجتها، لتعود الحياة في مصر إلى طبيعتها، وتناسى المصريون فِعلة المعلم يعقوب وأتباعه، لتسود روح المودَّة والتسامح من جديد بين المسلمين والنصارى إخوة الوطن المصري الواحد، ولكن الغرب الاستعماري لم ييأس بعدُ، خاصة بعد ما تبيَّن له من قوة سلاح الفتنة الطائفية كأحد أخطر الأسلحة لتهديد النظام المصري؛ لذا فقد حاولت فرنسا وإنجلترا -على مدار سنوات تلت اندحار الحملة- الظهور بمظهر الحامي لحقوق النصارى في مصر والعالم العربي والإسلامي.

كما ساهم تردِّي الأوضاع في مصر -خاصة في عهد أبناء محمد علي- في إعطاء الفرصة للقوى الغربية وفي مقدمتها إنجلترا للتغلغل الاقتصادي والسياسي في الحياة المصرية، فزاد حجم التدخلات الخارجية، لا سيما عن طريق قناصل هذه الدول. وزاد الموقف خطورة بتولي الخديوي توفيق للحكم في مصر؛ حيث كان ضعيفًا شديد الارتباط بأوربا؛ لذا قامت في عهده الثورة العرابية في عام ١٨٨١م، وبالفعل انصاع الخديوي لمطالب الثورة بعدما خشي على مركزه في الحكم[1].

وبالطبع استكثر الغرب الاستعماري وخاصة إنجلترا على مصر أن تتسلَّم الحركة الوطنية مقاليد حكمها، فتتأثر بذلك المصالح الإنجليزية في مصر وإفريقيا؛ لذلك قرَّرت إنجلترا احتلال مصر، لكن لا بُدَّ أن يكون هناك سبب معلن تتخذه إنجلترا كذريعة تدخل بها مصر، فالمتتبِّع لتاريخ الاحتلال الأجنبي في عالمنا العربي والإسلامي يجد أن الدول الاستعمارية

(١) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة اقرأ - مصر، ط١: ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م، ٢/ ٢٧٧.

تبحث دائمًا عن سبب يبدو مقنعًا، ثم تتخذه ذريعة لتبرير غزوها لأي دولة، وذلك على الرغم من امتلاكها للقدرات العسكرية الهائلة، فضلاً عن الإمكانات المادية والبشرية، فهي لا تحتاج إلى أحدٍ، وهذا ما يجعل بعض المراقبين يعجبون من إصرار المحتلِّ على تبرير دخوله العسكري، ولعلنا لا ننسى فرية أسلحة الدمار الشامل التي اتخذتها الولايات المتحدة الأميركية كذريعة مباشرة لغزو العراق في عام ٢٠٠٣م!

وبعد تفكير متعمق في هذه الظاهرة التي يمكننا أن نسميها ظاهرة «الذريعة»، ولماذا يحرص عليها الغرب الاستعماري، وجدنا أن الدولة المحتلة تلجأ إلى هذا السلوك التبريري لتحقيق ثلاثة عوامل رئيسية:

العامل الأول: لتحييد المجتمع الدولي؛ إما بهدف المساندة، أو بهدف إجبار القوى الكبرى المنافسة على التزام الصمت وعدم التدخل.

أمَّا **العامل الثاني:** هو تبرير الأموال الطائلة التي تنفقها الدول المحتلة على حملتها العسكرية، وذلك أمام شعوبها التي

عادة ما تحاسبها على هذا الإنفاق، فضلاً عن أرواح أبنائها التي تُزْهَق في الحملات العسكرية.

وأخيرًا **العامل الثالث:** الذي يتلخَّص في رغبة الدول المحتلَّة في التأثير على شعوب الدول المستهدفة، وإقناعهم أن قياداتهم هي وحدها المسئولة عن هذه الكارثة التي حلَّت بهم، وأن هذه القيادات الحاكمة تستحق الحرب والعقاب؛ مما يُضعف نفسية الشعب ويخذِّلها عن المقاومة.

ماذا فعلت إنجلترا؟

انتهزت إنجلترا مشاجرة عادية نشبت بمدينة الإسكندرية الساحلية في يونيه سنة ١٨٨٢م بين مواطن مصري اسمه «السيد العجان»، يعمل حمَّارًا «عربجي»، وبين أحد الرعايا الأجانب -مالطي- المقيمين في الإسكندرية، وكانت المشاجرة بسبب الخلاف على أجرة الركوب بين العربجي والمالطي، فما كان من المالطي إلا أن أخرج سكينًا كبيرًا طعن بها العربجي المصري حتى الموت، فثارت حمية المسلمين، وعَدُّوا ذلك انتهاكًا ليس لحياتهم فقط، بل لدينهم أيضًا، واتسع نطاق الشجار حتى طال

معظم أحياء المدينة، وقُتل فيه عشرات الأجانب والمصريين[1].

اتخذت إنجلترا من تلك المشاجرة -التي عُرفت في التاريخ بمذبحة الإسكندرية- ذريعة لضرب الإسكندرية بالمدافع؛ بدعوى حماية الأقليات النصرانية، وتطوَّرت الأوضاع حتى وصلت إلى قيام إنجلترا باحتلال مصر كلها بعد ذلك بأسابيع، وقد قيل بعد ذلك: إن الحادثة كانت مدبَّرة سلفًا، وجرى التخطيط لها من قِبَل إنجلترا وبعض الخونة داخل مصر من المستفيدين من دخول الاحتلال لبلاد مصر. وهذا الأمر قابلٌ للتصديق بل ومتكرِّر؛ فمحاولات تأجيج الفتنة موجودة ومعروفة وقديمة؛ لأن أهل الباطل دائمًا ما يُفكِّرون في كل ما يمكن أن يضرَّ بأهل الحق، وكما أننا لا نُعفي أهل الحقِّ من تقصيرهم في القيام بدورهم في الأخذ بأسباب الحيطة والحذر، فإننا لا نستطيع أن ننفي أو نغفل عن وجود فكرة المؤامرة؛ فهي في رأينا موجودة وباقية ما دام وُجد أهل الباطل.

وسرعان ما اكتشف المصريون الأغراض الحقيقية للإنجليز،

---

(١) عبد الرحمن الرافعي: الزعيم الثائر أحمد عرابي، مطابع الشعب، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨م، ص١١٩، ١٢٠.

فاصطفوا جميعًا -سواء من المسلمين أو النصارى- ليسطروا ملحمة رائعة وخالدة من العمل المقاوم للاحتلال الإنجليزي استمر على مدار سبعين عامًا، وكان الاندماج والتعاون بين المسلمين والنصارى مثار دهشة واستغراب من الجميع، بما فيهم قوى الاحتلال، الذين حاولوا كثيرًا اللعب على هذا الوتر، ولكن دون جدوى.

لقد سارع الشاب النصراني عريان سعد بالتطوُّع لاغتيال الباشا يوسف وهبة[١] «النصراني»، الذي قَبِل أن يُشَكِّل الحكومة تحت سلطة الاحتلال الإنجليزي خارجًا عن إجماع الأُمَّة، التي قاطعت سلطات الاحتلال؛ لئلاَّ يكون اغتياله على يد مسلم ذريعة لفتنة طائفية، وخطب القس سرجيوس ملطي[٢] من على منبر الأزهر في ثورة ١٩١٩م هاتفًا: «إذا كان الإنجليز هم الذين سيحمون الأقباط، فليمت كل الأقباط ولتحيا مصر حرَّة

---

(١) يوسف باشا وهبة (١٨٥٢- ١٩٣٤م): عمل كاتب سرٍّ لجنة التحقيق مع رجال الثورة العرابية، شغل منصب وزارة الخارجية والمالية، ثم رئيسًا للوزراء سنة ١٩١٩- ١٩٢٠م.

(٢) سرجيوس (١٨٨٣- ١٩٦٤م): أول قسيس يعتلي منبر الأزهر للخطابة أثناء ثورة ١٩١٩م، وكان يُسَمَّى بخطيب الثورة.

مستقلَّة». ومن العبارات التي حفظها التاريخ للزعيم النصراني مكرم عبيد[١] قوله:

«نحن مسلمون وطنًا ونصارى دينًا، اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك وللوطن أنصارًا، واللهم اجعلنا نحن النصارى لك وللوطن مسلمين»[٢].

وحين اغتيل الوزير النصراني الموالي للإنجليز بطرس غالي[٣]، حاول الإنجليز استغلال هذا الاغتيال في إثناء ابنه

---

(١) مكرم عبيد باشا (١٨٨٩- ١٩٦١م): محام شهير، وأحد مفكري الأقباط ورموزهم الوطنية في حقبة الخمسينيات، عمل وزيرًا للمالية والاتصالات، وكان من أقطاب حزب الوفد ثم انشق عنه.

(٢) محمد عمارة: في المسألة القبطية حقائق وأوهام، مكتبة الشروق - القاهرة، ط١: ٢٠٠١م، ص١٢، ١٣.

(٣) بطرس غالي: هو بطرس بطرس غالي ناروز (١٨٤٦-١٩١٠م): أوَّل مَنْ يحصل على رتبة الباشوية من الأقباط، تولَّى وزارة الخارجية والمالية، ورئاسة الوزراء من (١٩٠٨-١٩١٠م)، اشتهر بتعاونه مع الإنجليز، وخاصة في قضية اتفاق السودان ١٨٩٩م، ومحكمة دنشواي، فقام الشاب إبراهيم الورداني باغتياله في ٢٠ فبراير ١٩١٠م.

واصف غالي[1] عن مقاومتهم، فقالوا له:

«كيف تضع يدك في يد مَنْ قتلوا والدك؟!

فقال لهم: أُفَضِّل أن أضع يدي في يد مَنْ قتل والدي على أن أضع يدي في يد مَنْ قتلوا وطني»[2].

إن حالة نصارى مصر هي حالة خاصة فعلاً من بين كل الأقليات الدينية في العالم؛ وذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى تاريخ الكنيسة المصرية كأعرق وأقدم كنائس العالم، وككنيسة مستقلَّة لا تتبع أي كنيسة أوربية؛ لذلك كانت الكنيسة المصرية أقوى القلاع العربية صمودًا في وجه الغرب وخداعه، والنصارى المصريون هم الأكثر اندماجًا وأخوَّة مع الأغلبية المسلمة في العالم العربي والإسلامي.

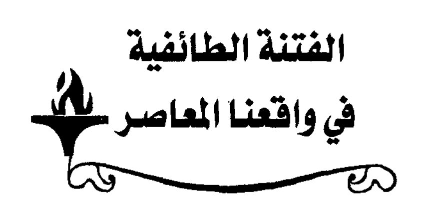
---

(١) واصف غالي: هو واصف بطرس غالي (١٨٧٨– ١٩٥٨م)، الابن الثاني لبطرس غالي، عمل بالمحاماة وكان أول قبطي ينضمُّ إلى الوفد المصري، عمل وزيرًا للخارجية في وزارات مصطفى النحاس (زعيم حزب الوفد) الأربع.

(٢) إدوارد غالي الذهبي: أقول لدعاة الفتنة الطائفية، دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١: ٢٠٠٠م، ص١٣.

وقد استمرَّت حالة الهدوء والاستقرار بين المسلمين والنصارى على مدار السنين -التي شهدت اندلاع ثورة يوليو ١٩٥٢م وجلاء قوات الاحتلال البريطاني عن مصر- إلى أن حدث تطوُّر ملموس في أوائل السبعينيات من القرن الماضي؛ حيث حدثت تحوُّلات مُؤَثِّرة في قيادة الكنيسة المصرية.

* * *



كما نعلم جميعًا فإن العقائد النصرانية من قديم تمنع على النصارى ممارسة السياسة، وحيث إن السياسة هي أكثر المجالات التي تحدث فيها عادة فتنة، فإن أمور الفتنة الطائفية ظلَّت هادئة إلى حدٍّ كبير في الفترة التي لم يمارس فيها النصارى السياسة بشكل كبير، لكن في عام ١٩٧١م وبتولِّي البابا شنودة الثالث رئاسة الكنيسة حدث تطوُّر كبير في الأحداث..

شنودة الثالث

وُلِدَ شنودة الثالث في عام ١٩٢٣م واسمه الأصلي «نظير جيد»، وفي شبابه أصبح خادمًا بجمعية النهضة الروحية التابعة لكنيسة العذراء مريم، وطالبًا بمدارس الأحد، ثم خادمًا بكنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا في منتصف الأربعينيات.

ثم بعد قيام ثورة يوليو وتحديدًا في ١١ سبتمبر ١٩٥٢م تأسست جماعة «الأمة القبطية» بميولها الانعزالية، التي أعلنت عن مشروعها «القومي»، الذي احتوى عدَّة مطالب غاية في التطرُف؛ مثل حذف النصِّ الدستوري القائل بأن الإسلام هو دين الدولة المصرية. وأن النصارى هم أصحاب الأرض الفعليون بجذورهم التي تعود إلى الفراعنة، وأن مصر نصرانية، ولغتها الرسمية هي اللغة القبطية!

وبالطبع قامت الدولة بحلِّ هذه الجماعة المتطرفة في ٢٤ أبريل ١٩٥٤م، وأحالت قياداتها إلى المحاكمة، ومَنْ نجا من هذه المحاكمات فضَّل طريق الرهبنة والانعزال، وكان في مقدمتهم «نظير جيد»، الذي دخل الدير في عام ١٩٥٤م، ليستقرَّ فيه حتى واتته الفرصة للعودة إلى الحياة العامة في ١٤ نوفمبر ١٩٧١م، عندما تم انتخابه ليصبح على رأس الكنيسة وقمتها[١]!

انفتحت الكنيسة في عهد البابا شنودة الثالث على شباب

---

(١) محمد عمارة: الفتنة الطائفية.. متى وكيف ولماذا؟، نشر بواسطة صحيفة المصريون: **www.almesryoon.com**.

جديد، هو شباب مدارس الأحد، وقضت على الحرس «القديم»، الذي كان مؤمنًا بضرورة البُعد عن الحياة السياسية والزهد فيها؛ حفاظًا على روحانية الديانة النصرانية، ولأول مرَّة في تاريخ الكنيسة المصرية يُصبح لها تنظيمًا هرميًّا إداريًّا، ليس بغرض القيام بالواجبات الدينية لنصارى مصر، بل لحشد التأييد للكنيسة وقيادتها كورقة للضغط على النظام الحاكم في مصر.

وأصبح للكنيسة مطالب يجب أن تُنَفَّذ، وبدأت تكتسب سلطة، فطالبت ببناء ٢٥ كنيسة في السنة، فأعطاها «السادات» ٥٠ في السنة! وذلك بالطبع بعد ما عُرف بأحداث الفتنة الطائفية في الخانكة[1].

حادثة الخانكة ١٩٧٢م

مثَّلت حادثة الخانكة -التي وقعت في ٦ نوفمبر ١٩٧٢م في مدينة الخانكة بالقاهرة- نقطة البداية الفعلية في تأزُّم علاقة المسلمين والنصارى في مصر، وقد انطلقت شرارة تلك الحادثة

---

(١) البابا شنودة.. صورة وطن في سيرة رجل، فيلم وثائقي، فضائية الجزيرة: http://doc.aljazeera.net.

عندما قام النصارى بتحويل مبانٍ تابعة لجمعية نصرانية إلى كنيسة دون ترخيص من الدولة، فقام أهالي المنطقة المسلمون بهدم تلك المباني..

فماذا حدث في اليوم التالي؟

أتى إلى المنطقة وفد يتكوَّن من ألف كاهن وقس بملابسهم الكنسية في مسيرة وُصفت بطابور استعراض عسكري، وأقاموا قداسًا دينيًّا في مكان المباني المهدَّمة باعتباره كنيسة[١]!

لعلنا نلاحظ الآن التغيير الذي حدث في سلوك الكنيسة المصرية بعدما تولاَّها البابا شنودة، لا سيّما في الردِّ السريع والمنظَّم، والأخطر من ذلك المتحدِّي لسيادة الدولة، وكأنه لا يُوجد قانون وهيئات قضائية نرجع إليها لحلِّ أي نزاع أو قضية خلافية.

وبالطبع خرجت الأمور حينذاك عن نطاق السيطرة، وذلك بعد أن واجه المسلمون هذا التصرُّف المتهوِّر بمظاهرة

(١) أحداث مصر الطائفية.. أبرز المحطات، الجزيرة نت، ١١ مارس ٢٠٠٣م.

مضادَّة احتجاجًا على تصرُّف الكهنة، ثم قيام نصراني بإطلاق الرصاص على المتظاهرين المسلمين... ليشتعل الحريق! هنا بدأت السلطة «الضعيفة» في محاولة تسكين الموقف بالحلول الوقتية، وذلك من عيّنة تنفيذ المطالب دون النظر في الأبعاد الخفيَّة وراء هذه المطالب، فعندما يكون الماسك بزمام السلطة فاقدًا لشرعيته كرئيس منتخب انتخابًا صحيحًا، أو على الأقل مهتز الثقة في هذه الشرعية غالبًا ما يلجأ إلى المسكِّنات، ويُصبح غير قادر على التصدِّي بجرأة للمشكلات المفصلية للوصول إلى حلول جذرية بعيدة المدى.

التقط البابا شنودة الإشارة، فانتهز حرج موقف الرئيس السادات الذي اندلعت ضده مظاهرات ضخمة في يناير ١٩٧٧م فيما سُمِّيَ بانتفاضة يناير، وحاجة السادات إلى أي دعم شعبي، ليقوم شنودة بعقد أكبر مؤتمر نصراني مطالبًا «بحقوق» النصارى -على طريقة مطالب جماعة الأمة القبطية- مما دعا الأزهر للردِّ على هذه المطالب في يوليو من العام نفسه يطالب فيه بتطبيق الشريعة الإسلامية في مصر.

فأعلن البابا الصوم لمدة ٥ أيام احتجاجًا على هذا المؤتمر؛ لتصبح الطقوس الدينية وسيلة من وسائل الاحتجاج السياسي(١)!

وتوالت بعد حادثة الخانكة أحداث طائفية عديدة حتى بداية الثمانينيات؛ حيث وصلت تلك الحوادث إلى ذروتها بحادثة الزاوية الحمراء الشهيرة في ١٧ يونيو ١٩٨١م.

حادثة الزاوية الحمراء

بدأت تلك الحادثة بنزاع بين المسلمين والنصارى على قطعة أرض فضاء جعلها المسلمون مكانًا للصلاة، وتطوَّر هذا النزاع إلى معركة استُخدمت فيها الأسلحة النارية؛ مما أدَّى إلى مقتل العشرات من الطرفين، فاشتعلت الأحداث على نحو خطير؛ مما دعا الرئيس السادات في سبتمبر ١٩٨١ إلى عزل البابا شنودة، وتكليف لجنة لإدارة شئون الكنيسة؛ متهمًا إياه بالسعي إلى استقلال الكنيسة، فعاد البابا إلى حياة الرهبنة، واعتكف في دير

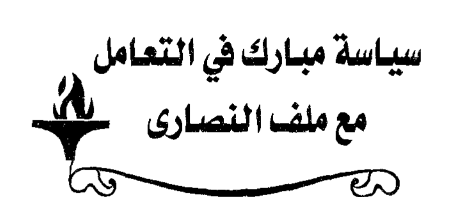
(١) البابا شنودة.. صورة وطن في سيرة رجل، فيلم وثائقي، فضائية الجزيرة: http://doc.aljazeera.net.

الأنبا بيشوي، ولم يخرج منه إلا سنة ١٩٨٥م[1].

وفي ٦ أكتوبر عام ١٩٨١م اغتيل الرئيس السادات، ليتولى رئاسة مصر نائبه محمد حسني مبارك، الذي انتهج سياسة جديدة في تعامله مع ملف الفتنة الطائفية، يمكننا وصفها بالسياسة الفاسدة التي أدَّت إلى اشتعال الفتنة الطائفية في مصر على نحو غير مسبوق..

* * *

(١) أحداث مصر الطائفية.. أبرز المحطات، الجزيرة نت، ١١ مارس ٢٠٠٣م.



سياسة مبارك في التعامل مع ملف النصارى

أعطى مبارك مساحات كبيرة للنصارى لا تتوازى مع حجمهم الفعلي في التركيبة السكانية، واتسمت علاقته مع قيادات الكنيسة بالمداهنة الظاهرة، في الوقت نفسه الذي كان يضغط فيه بعنف وقسوة على الإسلاميين بمختلف فصائلهم، وقد أدَّت هذه السياسة الفاسدة إلى استفحال المشكلة الطائفية في مصر؛ وهو ما ظهر من خلال الاشتعال المتكرِّر للحوادث ذات الصبغة الطائفية الواضحة بامتداد فترة حكم الرئيس السابق حسني مبارك، ولكنها زادت في السنوات الأخيرة على النحو التالي:

حادثة الكشح

تفجَّرت هذه الحادثة مرتين الأولى عام ١٩٩٩م والثانية عام ٢٠٠٠م؛ بسبب نزاع شخصي بين تاجر نصراني وعميل مسلم،

وسقط فيهما ٢١ قتيلاً، إلى جانب إصابة ٣٣ آخرين بجروح.

اشتباكات الإسكندرية

شهدت مدينة الإسكندرية في عام ٢٠٠٦م اشتباكات بين بعض المسلمين والنصارى، أسفرت عن قتلى وجرحى، وذلك على خلفية مسرحية عُرضت داخل الكنيسة بها مشاهد مسيئة إلى المسلمين، وقد طالبوا بابا الكنيسة الأرثوذكسية شنودة الثالث – الذي «بارك هذا العمل المسرحي»- بالاعتذار، لكنه رفض!

حادثة نجع حمادي

وقعت في السادس من يناير ٢٠١٠م، قُتل فيها ستة نصارى ورجل شرطة مسلم في إطلاق نار من سيارة عشية احتفال النصارى بعيد الميلاد خارج كنيسة في مدينة نجع حمادي بجنوب مصر، وأدَّى الحادث إلى تفجُّر احتجاجات، وأحرق المحتجون منازل ومحالَّ تجارية لمسلمين ومسيحيين.

احتجاجات العمرانية

حدثت في ٢٤ نوفمبر ٢٠١٠م عندما قامت جموع النصارى في القاهرة باحتجاجات عنيفة على وقف السلطات بناء كنيسة في

منطقة العمرانية بمحافظة الجيزة، واصطدم المحتجون مع شرطة مكافحة الشغب عند محاولتهم اقتحام مبنى المحافظة، وتفاقمت الأحداث وأخذت منحى طائفيًّا عندما تحوَّلت إلى مواجهات بين مسلمين ونصارى، قُتِلَ على إثرها اثنان من النصارى، وألقت الشرطة القبض على أكثر من ١٥٠ شخصًا.

حادث كنيسة القديسين بالإسكندرية

جرت في الأول من يناير ٢٠١١م عندما استهدف تفجير -يُعتقد أنه انتحاري- كنيسة في الإسكندرية؛ مما أسفر عن مقتل ١٧ شخصًا على الأقل، وخرج على إثره النصارى إلى الشوارع في احتجاجات، وتبادل بعض النصارى والمسلمين الرشق بالحجارة، حتى استطاعت الشرطة السيطرة على الأمر وتفريق المحتجين.

وقد أشارت أصابع الاتهام بعد الثورة في هذا الحادث إلى الوزير السابق حبيب العادلي، وما زال التحقيق جاريًا في هذا الشأن..

وبالتأكيد.. لم يكن الدافع وراء سياسة مبارك المداهِنَة

للنصارى في مصر من منطلق الحرص على مصلحة النصارى، وإنما كانت لديه أسباب أخرى كثيرة؛ لعلَّ من أبرزها:

١- **التوازن مع الإسلاميين:** وذلك بالعمل على زيادة قوة النصارى وإعلاء شأنهم بجانب العلمانيين؛ كقوة موازية للصحوة الإسلامية، والمدِّ الجارف للتيار الإسلامي، الذي نجح يومًا بعد يوم في الاستحواذ على ثقة الشارع المصري، وقد ظهر ذلك جليًّا في الصبغة الإسلامية الواضحة التي طغت على الشارع المصري؛ مثل انتشار الحجاب، والالتزام بأداء الصلوات في المساجد، واكتساح الإسلاميين لأي انتخابات يخوضونها؛ سواء في نقابة أو برلمان، أو حتى في نادٍ رياضي، وهو ما كان دائمًا مثار قلق بالغ لدى النظام المصري الحاكم.

٢- **الركوع أمام الغرب:** بمعنى خضوع مبارك ونظامه لضغوط خارجية لعلَّ معظمها من الولايات المتحدة الأميركية وأوربا؛ بحجة الحفاظ على حقوق النصارى

في مصر ورعاية لمصالحهم، وذلك في تكرار بغيض للذريعة الإنجليزية نفسها التي أدَّت في النهاية إلى احتلالها لمصر.

ولا بُدَّ لنا أن نفهم ما يقوم به الغرب جيدًا؛ حيث لا يعدو كونه مسرحية هزلية بقصد إعطاء صبغة دينية لأفعال إجرامية لا تمتُّ للدين بصلة، ولعلَّ الدليل الأكبر على خبث نوايا الغرب الاستعماري أن الولايات المتحدة الأميركية ذات أغلبية بروتستانتية، وفرنسا أغلبية سكانها كاثوليك، ومع ذلك نجدهم يُظهرون التعاطف مع نصارى مصر الأرثوذكس، رغم ما شهده الغرب نفسه من اختلاف بين طوائفه الدينية؛ وصل إلى حدِّ التكفير، ونشوب الحروب الدينية الطاحنة فيما بينهم، ونودُّ أن نذكر مثالاً واحدًا لما كان يحدث فيها، وهو ما حدث في الحملة الصليبية الرابعة عندما غيَّرت الجيوش الكاثوليكية مسارها -وهي في البحر الأبيض المتوسط- لتعدل عن الاتجاه إلى الشام (بلاد المسلمين)، وتتجه إلى القسطنطينية، وكل سكانها آنذاك من النصارى الأرثوذكس -كنصارى مصر- وقامت الجيوش

الكاثوليكية بمذبحة بشعة في القسطنطينية للأرثوذكس، وذلك في سنة (٦٠٢هـ= ١٢٠٤م)، واحتلت القسطنطينية لمدة تزيد على ٥٧ سنة[١]!

هذه هي العلاقة الطبيعية بين الكاثوليك والأرثوذكس، فما الذي جدَّ في الأحداث حتى يتفطَّر قلبُ الأوربيين الكاثوليك على نصارى مصر الأرثوذكس، أو الأميركان البروتستانت على مَنْ ينظرون إليهم على أنهم كفار من نصارى مصر؟!

استمرَّ مبارك ونظامه في العمل على تعميق الهوَّة بين المسلمين والنصارى، وفي الضغط العنيف على الإسلاميين، والاستفادة من هذا الوضع الخطير في التوطيد لحكمه، والتعمية عن فساد نظامه، وقد رصدنا العديد من الصور الشاذَّة التي تعكس سياسة مبارك في

---

(١) انظر: ول ديورانت: قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، ١٥/ ٤٦-٥٣، وانظر: عادل زيتون: العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، دار دمشق، ط١: ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

التفرقة بين المسلمين والنصارى؛ نذكر منها ما يلي:

١- إعطاء قداسة واضحة للشخصيات النصرانية في المجتمع المصري، وذلك في الوقت الذي نجد فيه التعدِّي السافر على الشخصيات والرموز الإسلامية، ولعلَّنا نعلم جميعًا الأسلوب الفظَّ الذي كانت تنتهجه أجهزة مبارك الأمنية عند تعاملها مع رموز الدعوة الإسلامية وكبار مشايخها، بل وتعمُّد إهانتهم والتقليل من شأنهم؛ بهدف هزِّ ثقتهم بأنفسهم، ودفعهم إلى ترك العمل في هذه الساحة الشريفة، والتوقف عن تبليغ هذه الرسالة المقدسة.

فأصبح من المعتاد في عصر مبارك سماع أخبار القبض على الدعاة ومحاكمتهم، ودفعهم إلى الهجرة خارج البلاد فرارًا بدينهم! وفي المقابل نجد كامل الاحترام والتقدير للشخصيات والرموز الدينية النصرانية، والحفاظ على مهابتهم، فلا أحكام بالسجن ولا اعتقالات، ولا تحقيقات مهينة، ولا اقتحام لمنازل القسس والرهبان، بل والأدهى الحفاظ على قدسية أماكن

العبادة للنصارى، فلا يجرؤ ضابط شرطة مصري على اقتحامها، وذلك في الوقت الذي تُستباح فيه مساجد المسلمين جهارًا نهارًا!

٢- الإعلام المصري صار يُدافع عن النصارى بشكل تلقائي عند حدوث أي خلاف، ولعلَّ ذلك نتيجة ما رُسِّخ في العقلية الإعلامية المصرية عبر عقود من الزمان، نزَّه فيه الإعلام النصارى ورموزهم عن كل نقص وعيب، وهذا في الوقت الذي استباح فيه الشخصية المسلمة ووصمها بكل الأخلاق المزمومة، فهذا شيخ سكّير وزير نساء، وهذا مسلم لص وزانٍ، بينما النصراني دمث الخلق، والقس ملاك يمشي على الأرض.

٣- بات الأزهر -المؤسسة الدينية الأولى في مصر- مداهِنًا بشكل مبالغ فيه للنصارى وللكنيسة بوجه خاص، وألزم نفسه بسياسة التسامح الدائم، مهما كان التصرُّف الصادر عن النصارى، وهذا ليس من العدل في شيء؛ لأنه يُعَدُّ ظلمًا للمسلمين وانتقاصًا من حقهم،

ويدفع النصارى إلى استمراء التقصير في أداء واجبهم نحو الوطن، والتعدِّي على حقوق المسلمين، وكان الأجدر بالأزهر -مع انتهاجه سياسة التسامح مع النصارى- تحلِّيه بخلق العدل والمساواة بين عنصري الوطن المصري.

٤- خروج الكنيسة المصرية عن نظام الدولة، وصارت تُنَظِّم شئونها داخليًّا بعيدًا عن أعين الدولة، فتكفَّلت بكل ما يخصُّ النصارى، ورتَّبَتْ لهم الأنشطة التربوية والرياضية والترفيهية -في الوقت الذي مُنعت فيه المساجد من المساهمة في المجتمع بأي صورة - بل وتطوَّر الأمر ببعض الكنائس إلى القيام بتسليح أفرادها! ولعلَّنا نذكر اكتشاف شحنة متفجرات قادمة من الكيان الصهيوني، كانت مخبأة على متن سفينة مملوكة لنجل أحد قيادات الكنيسة في محافظة بور سعيد[(١)].

(١) موقع مفكرة الإسلام، ١٧ أغسطس ٢٠١٠م: www.islammemo.cc.

٥- تضاؤل دور الدولة كثيرًا أمام نفوذ الكنيسة، التي باتت تحاسب النصارى الذين يُسْلِمُون؛ فتقوم بما تراه مناسبًا لردِّهم عن الإسلام، حتى وإن وصل الأمر إلى النفي أو القتل! وللأسف فإن هذا التصرُّف المستفزَّ لم يحدث لمرَّة واحدة، بل تكرَّر في العديد من الحالات، وأصبح هو الإجراء الطبيعي والمتوقَّع في حق أي نصراني يُفَكِّر في الإسلام، وكأنه لا تُوجد دولة، ولا يُوجد قانون أو مؤسسات قضاء تفصل بين الناس وتُعيد الحق لأصحابه.

٦- العلو الواضح لأصوات «أقباط المهجر»، وهم النصارى المصريون المقيمون خارج مصر، وخاصة في الولايات المتحدة الأميركية، والذين تتعالى أصواتهم من حين إلى آخر بمطالب فجَّة، ولا تتناسب مطلقًا مع عدد النصارى في مصر، وكان آخر هذه المطالب الدعوة إلى قيام دولة مستقلة للنصارى في مصر، بالتزامن مع إجراء استفتاء تقرير مصير جنوب

السودان في ٩ يناير ٢٠١١م، كما طالبت القيادات النصرانية في المهجر بالحصول على ٢٥٪ من المناصب السيادية في مصر، وإطلاق حرية بناء الكنائس بلا حدود، وتشكيل محاكم خاصة للنصارى؛ تمهيدًا لحكم ذاتي للنصارى في مصر.

وجاء الإعلان عن هذه المطالب في مسيرة نظَّمها أقباط المهجر في ٩ يناير، تأييدًا لمطالبة بابا الفاتيكان -البابا بنديكيت السادس عشر- بالتدخل الدولي لحماية النصارى في مصر(١)!

٧- تجرُّؤ النصارى على فتح ملفات خطيرة للغاية، والتطوع بانتقادات لا يمكن فهمها من أقلِّيَّة عددية تعيش بين أغلبية مطلقة من المسلمين؛ فنجد من النصارى مَنْ يزعم أن الأقباط هم أصل البلد، وأن المسلمين لا يتعدَّون كونهم ضيوفًا على مصر!

---

(١) صحيفة المصريون الإلكترونية، ١٠ يناير ٢٠١١م:
www.almesryoon.com.

جاء ذلك على لسان أحد كبار قيادات الكنيسة المصرية، وهو الأنبا بيشوي المرشح لخلافة البابا شنودة في حوار صحفي قال فيه: «هل نسوا أن الأقباط أصل البلد، نحن نتعامل بمحبة مع ضيوف حلُّوا علينا ونزلوا في بلدنا، واعتبرناهم إخواننا، «كمان عايزين يحكموا كنايسنا»، أنا لا أرضى بأي شيء يسيء للمسلمين، ونحن كمسيحيين نصل إلى حدِّ الاستشهاد إذا أراد أحد أن يمس رسالتنا المسيحية، وإذا قالوا لي: إن المسلمين سيرعون شعبي بالكنيسة. فسأقول: اقتلوني أو ضعوني في السجن حتى تصلوا لهذا الهدف»[1].

وبغضِّ النظر عن الردِّ على هذه التصريحات، التي انبرى للردِّ عليها العديد من المفكرين الإسلاميين المخلصين، لا سيما الدكتور محمد عمارة، والدكتور محمد سليم العوا؛ الذين فنَّدُوا هذه الدعاوى بأسلوب مبسط، أثبت بالدليل العقلي أن ضخامة تعداد المسلمين في مصر يعود لاعتناق أهلها الإسلام بشكل متدرج، وبكامل إرادتهم؛ وذلك لأن الجيش المسلم أدى رسالته

(١) صحيفة المصري اليوم، ١٥ سبتمبر ٢٠١٠م، العدد (٢٢٨٥).

بفتح مصر، ثم أكمل مسيرته في الفتوحات الإسلامية، ولم يبقَ في مصر إلا العدد الكافي لإدارة الدولة، وبالتالي فمن المستحيل بقاء الإسلام في مصر لمدَّة تزيد عن ألف وأربعمائة عام بقوة الجيش الفاتح، ولكن ما حدث هو امتزاج مَنْ بقي من الجيش الإسلامي مع الشعب المصري؛ سواء مَنِ اختار الدخول في الإسلام أم مَنْ بقي على دينه، ليُكَوِّنا معًا المجتمع المصري الذي نعرفه الآن(١).

ولم تكن فرية أن المسلمين ضيوف آخر التخاريف؛ حيث تجرَّأ الأنبا بيشوي على القرآن الكريم نفسه وادعى أن به أخطاء(٢)، كما تجرَّأ القساوسة النصارى على مقام النبي محمد ﷺ والدين الإسلامي صراحة على إحدى الفضائيات التنصيرية الموجَّهة إلى الشعب المصري، لا سيما على لسان القس (زكريا بطرس)، وأخيرًا ما طالب به المحامي النصراني (نجيب جبرائيل) بضرورة ترشُّح نصراني لرئاسة جمهورية مصر العربية(٣)!!

---

(١) موقع الدكتور محمد سليم العوا: مجموعة مقالات بعنوان: (العلاقات الإسلامية المسيحية): www.el-awa.com.

(٢) صحيفة المصري اليوم، ١٥ سبتمبر ٢٠١٠م.

(٣) صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، ١٧ سبتمبر ٢٠٠٩م، العدد (١١٢٥١).

وكما كانت هناك مظاهر لسياسة مبارك المداهنة للنصارى، كان هناك في المقابل العديد من الإجراءات القمعية التي يمارسها على الإسلاميين، وعمله الدءوب على تحجيمهم وكسر شوكتهم، ولعلَّ أبرز هذه الإجراءات ما يلي:

١- **الاعتقالات المستمرَّة:** تكرَّرت كلمة الاعتقالات كثيرًا في عهد مبارك، التي ظلت البلاد طوال فترة حكمه ترزح تحت وطأة قانون الطوارئ، وكان لدعاة الحركات الإسلامية نصيب الأسد من هذه الاعتقالات لسنوات طويلة دونما محاكمة!

فعلي سبيل المثال قدَّمت حركة الإخوان المسلمين في فترة حكم مبارك قرابة ٤٠ ألف معتقل، فضلاً عن إحالة قياداتها إلى المحاكم العسكرية، وحرمانهم من حقهم الطبيعي في الوقوف أمام قاضٍ مدني، إلى جانب إصرار جهاز أمن الدولة على تفتيش المنازل وترويع الأهالي، وجمع كل ما تقع أيديهم عليه من كتب وأوراق ودراسات وشرائط، بل ونهب الأموال!

كما عكف نظام مبارك على محاربة الإسلاميين في رزقهم؛

فقام بغلق ٩٠٠٠ شركة ومؤسسة إخوانية في عام واحد، وهو عام ٢٠٠٠م، بحجة منع التمويل عن الجماعة قبل الانتخابات البرلمانية؛ كمحاولة لإقصائهم من المشهد السياسي بالكلية[1]!

٢- **تأميم المساجد، والمنع من الخطابة**، ووقف المحاضرات الدينية للتحكّم في ما يصل إلى الناس من معلومات عن الإسلام الصحيح بمفهومه الكامل، الذي يُنَظِّم كافة مناحي الحياة، إضافة إلى تحديد أوقات الفتح والغلق للمساجد، وذلك في الوقت الذي تفتح فيه الكنائس أبوابها على مدار ٢٤ ساعة.

٣- **التدخل السافر في منظومة الأزهر**؛ بدءًا من تعيين شيخ الأزهر من قِبل رئيس الجمهورية، وصولاً إلى محاربة أي بادرة لاستقلال إرادة الأزهر عن ما يراه النظام الحاكم، وفي المقابل نرى جميعًا

(١) حوار مع المهندس خيرت الشاطر، نائب مرشد جماعة الإخوان، موقع نافذة إخوان الفيوم، ٧ مارس ٢٠١١م، www.fayoumwindow.net.

المدى الذي وصل إليه نفوذ البابا شنودة، وقدرته على تنفيذ ما يراه، حتى لو تعارضت رؤيته مع الرئيس السابق نفسه!

٤- **السخرية الفاجرة من الرموز الإسلامية**؛ حيث أصبح هذا الأمر معتادًا في وسائل الإعلام وفي الصحف، خاصة في ركن الكاريكاتير الذي يجد من الدعاة والرموز الإسلامية كاللحية والنقاب -والإرهابي الشهير الذي كثيرًا ما نراه أصلع ملتحيًا ويرتدي الجلباب- مادة خصبة للتفكه والسخرية، دونما رادع أو رقيب..

٥- **إغلاق الصحف ذات التوجه الإسلامي الواضح**، ولعلنا نتذكر صحيفة «الشعب»، التي كانت تصدر عن حزب العمل الذي تم تجميده لاحقًا، وصحيفة آفاق عربية التي أصدرها الإخوان لفترة ثم أُغلقت، وذلك فضلاً عن دور النشر الإسلامية؛ للعمل على الحدِّ من انتشار الفكرة الإسلامية.

وقد أدّت هذه السياسة «البائسة» للرئيس «المخلوع» مبارك إلى أمرين غاية في الخطورة:

الأمر الأول: شعور المسلمين بالغبن الشديد لما يتعرَّضُون له من اضطهاد، وذلك على الرغم من كونهم يمثِّلون ٩٥٪ من الشعب المصري؛ مما ساهم في زيادة حالة الاحتقان الطائفي الدائم والمستمر، ومما ولَّد مشاعر سلبية تجاه النصارى، وصلت في بعض الأحيان إلى الكراهية.

الأمر الثاني: علا سقف طموحات النصارى، وصارت أحلامًا غير واقعية على شاكلة المطالبة بتأسيس دولة نصرانية داخل مصر، والاستقواء الصريح بالخارج عن طريق طلب التدخُّل الأميركي والغربي لحماية النصارى في مصر، مثلما كان يدعو «موريس صادق» رئيس الجمعية الوطنية القبطية الأميركية وأحد أقباط المهجر[1]!

وبالطبع تسبَّبت هذه الدعاوى -التي تشبه أحلام اليقظة- في غضب النصارى الدائم، وعدم قناعتهم بأي امتياز إضافي

---

(١) صحيفة الأخبار المصرية، ٢٣ مايو ٢٠١١م، العدد (١٨٤٤٠).

يحصلون عليه من الحكومة المصرية، وشعورهم بالظلم والغبن؛ لأن مطالبهم الكبرى لم تتحقق! فلم يكتفوا بكل ما أعطاه مبارك للنصارى من امتيازات، بل ظلوا دائمًا يبحثون عن المزيد..

من هنا صار الوضع كارثيًّا؛ المسلمون غاضبون وكذلك النصارى أيضًا.. وسادت الدولة المصرية حالة من الاحتقان ومشاعر من الكراهية المتبادلة، خلقها النظام البائد من جرَّاء سياسته الفاشلة في التعامل مع هذا الملف الخطير.

وليس معنى هذا أننا كنا نُريد من نظام مبارك أن يظلم النصارى، بل كنا نُريد منه تحقيق وإقامة العدل عند تعامله مع طوائف المجتمع المصري، فها نحن -ويا للعجب- نطلب العدالة والمساواة مع النصارى في مصر، وذلك على الرغم من كون تعداد المسلمين تقارب نسبته ٩٥٪ من تعداد سكان مصر.

في هذه الحالة المضطربة والمتأججة قامت الثورة المصرية..

***

الثورة المصرية والفتنة الطائفية

كان موقف الكنيسة المصرية وعلى رأسها البابا شنودة من الثورة المصرية غاية في الوضوح؛ حيث رفض مشاركة النصارى في المظاهرات التي انطلقت في ٢٥ يناير ٢٠١١م، وطلب من الكنائس التنبيه على أتباعها بعدم الخروج[1]، إلا أن عددًا من النصارى شارك في الثورة بدافع الوطنية، ورغمًا عن إرادة الكنيسة.

لكن البابا شنودة كانت خياراته واضحة، فهو مع مبارك إلى أقصى حدٍّ، فأجرى اتصالاً هاتفيًّا بالرئيس السابق بعد خطابه الأول -الذي زعم فيه أنه لن يترشح لفترة رئاسية جديدة في محاولة لتهدئة الغضب المصري- عبر له عن تأثره بالخطاب،

(١) صحيفة المصري اليوم، ٣ فبراير ٢٠١١م، العدد (٢٤٢٦).

وثقته أنه (مبارك) سيتجاوز بمصر هذه الأزمة[١]!

ومن المعروف عن البابا شنودة علاقته القوية بالرئيس السابق، وذكرت بعض وسائل الإعلام أنه بكى تأثرًا بعدما أُعلن عن تنحِّي مبارك[٢]!

كما أنه بعد نجاح الثورة المصرية صارت هناك مشكلة كبرى أمام قيادة الكنيسة؛ وهي احتمال وصول الإسلاميين إلى الحكم في مصر؛ خاصة بعدما شُوهد الدور الكبير للتيار الإسلامي -وخاصة جماعة الإخوان المسلمين- في الثورة المصرية، إضافة إلى ما حدث من انهيار لجهاز الأمن، الذي كان من أشدِّ المناوئين للتيار الإسلامي، ثم تفاقمت الأزمة بعدما سقط جهاز أمن الدولة حجر العثرة الرئيسي أمام الحركة الإسلامية في مصر.

أمَّا على المستوى الشعبي فقد صارت الأمور على ما يرام في الأيام الأولى للثورة بين المسلمين والنصارى -مسلم مسيحي يد واحدة- حتى ظهرت إرهاصات زلزال الاستفتاء على بعض

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، ١٦ فبراير ٢٠١١م، العدد (١١٧٦٨).
(٢) صحيفة الأخبار المصرية، ٢٣ مايو ٢٠١١م، العدد (١٨٤٤٠).

التعديلات في الدستور المصري، والذي حُدِّد له يوم السبت ١٩ مارس ٢٠١١م؛ حاولت الكنيسة حشد كامل طاقتها والتعاون مع كل القوى المناوئة للتيار الإسلامي من العلمانيين واليساريين، وللأسف بعض المنتمين للتيار الإسلامي نفسه؛ بهدف رفض إجراء هذه التعديلات، التي تُؤَدِّي الموافقة عليها إلى تحديد موعد قريب لإجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية، التي قد تأتي بالإسلاميين إلى الحكم، بما يُوافق هوية ومعتقد أغلبية أبناء الشعب المصري، وبما سيُخالف بالتأكيد طموحات الزعامة لدى قيادة الكنيسة.

ثم كانت النتيجة الفاضحة الكاشفة لمدى حب الشعب المصري للتيار الإسلامي، وتناغمه مع قياداته ودعاته، التي كانت دومًا الأقرب إلى نبض الشارع، بل وأظهرت إمكانية الالتقاء والوحدة بين تيارات وفصائل التيار الإسلامي، التي اجتهد النظام البائد كثيرًا للحيلولة دون تحققها.

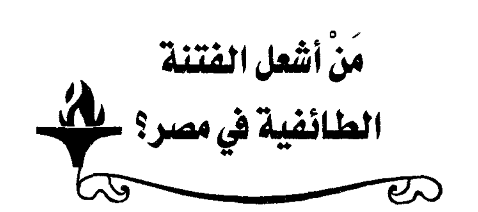
كما تكشَّف للنصارى –ومعهم القوى الأخرى المناوئة للتيار الإسلامي– خطورة الموقف، خاصة مع تحديد موعد

الانتخابات البرلمانية والرئاسية القادمة، التي قد تأتي بالإسلاميين إلى الحكم في مصر، وبنسبة نجاحهم نفسها في الاستفتاء ٧٧٪.

وهنا كان يجب إشعال فتيل الفتنة الطائفية؛ كمحاولة خبيثة «أخيرة» لتعطيل قطار الإصلاح عن المضيّ في طريقه الصحيح.



مَنْ أشعل الفتنة الطائفية في مصر؟



في ظلِّ هذه الحالة من الشحن الطائفي والجوِّ المحتقن بفعل كل ما سبق أن رصدناه، قامت عدَّة جهات -بعضها خارجي وأغلبها داخلي- بانتهاز هذه الفرصة وإشعال النار في الحطب -القابل للاشتعال بالأساس- ولعلَّ من أهم العناصر والجهات أو ما نسميها هنا بـ«أعواد الثقاب» والتي شاركت في جريمة إشعال نيران الفتنة الطائفية في مصر ما يلي:

١- فلول الحزب الوطني:

وهم من أقوى عناصر الثورة المضادة، التي تعمل على إفشال الثورة المصرية بترسيخ حالة الاضطراب في المجتمع، والمساهمة بفاعلية في شيوع حالة الانفلات الأمني؛ كعقاب جماعي للمصريين لقيامهم بالثورة على الفساد، ولعلَّ ذلك بدافع المساومة لإنقاذ بعض رءوس الفساد، وتأجيل

أو منع محاكمتهم، أو لعلَّ بعضهم يطمح في العودة من جديد والمشاركة في الحكم!

٢- النصارى:

نظرًا لتخوُّف البعض -خاصة قيادات الكنيسة- من إطاحة هذه الثورة بمكاسب هائلة حصلوا عليها في العهود السابقة، لا سيما في زمن يتم فيه الإعداد لوضع دستور جديد للبلاد.

٣- الغرب:

يتعارض نجاح الثورة المصرية في تحقيق غاياتها الكبرى من استقلال القرار المصري، والتأسيس لنهضة شاملة في هذا البلد مع طموحات استعمارية ممتدة جذورها على مدار عقود طويلة، كما يُهَدِّد مواقع نفوذ غاية في الأهمية لكبرى دول العالم، ولا شكَّ أن الغرب لن يقف متفرجًا على مصر وهي تنهض لتصبح قوة كبرى في العالم، وسيقوم بتحريك كامل أذنابه للحيلولة دون تحقيق هذه النهضة، إمَّا عن طريق إشعال الفتن في الداخل، أو عن طريق الاقتراب العسكري من الحدود المصرية بالأساطيل الأميركية، أو بتمركز قوات الناتو في الأراضي الليبية!

٤- الصهيونية:

يمكننا أن نتخيَّل مدى الرعب الذي تعيش فيه دولة الكيان الصهيوني من احتمالية تولِّي حكومة وطنية ورئيس منتخب للحكم في مصر، واستقلال قرارها السياسي، وانحيازها للمصلحة الوطنية المصرية؛ ولهذا يحثُّ الخبراء الصهاينة دوائر صنع القرار في الكيان الصهيوني بمراقبة الأوضاع الداخلية في مصر بشكل ثاقب، مشدِّدين على أن إمكانية وصول «الإخوان» إلى الحكم سيناريو يفوق في خطورته إمكانية تطوير إيران لسلاحها النووي[١].

وواضح أن وصول الإسلاميين إلى الحكم قد يقضي بفشل مشروعات لتفتيت العالم الإسلامي جرى التخطيط لها من عقود طويلة، على غرار ما أعلنه المستشرق الصهيوني برنارد لويس (Bernard Lewis) من مخطط التفتيت للأُمَّة الإسلامية بواسطة الأقليات، والذي نشرته مجلة وزارة الدفاع الأميركية البنتاجون (Executive Intelligence Research Project)، وفيه يدعو إلى

(١) صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، ٢ يونيو ٢٠١١م، العدد (١١٨٧٤).

إضافة أكثر من ثلاثين كيانًا انفصاليًّا، وذلك على أساس ديني ومذهبي وعرقي، تُضاف إلى التجزئة التي أحدثتها بالفعل اتفاقية «سايكس- بيكو[١]» سنة ١٩١٦م[٢].

٥- العلمانيون:

إذ أظهرت نتائج الاستفتاء على التعديلات الدستورية حجمهم الحقيقي في الشارع المصري، ومدى النفور الشعبي من دعواهم التي تُظهر قيم الحرية والمساواة، ولكنها تُخفي في حقيقتها رغبة أكيدة في إقصاء الدين عن الحياة العامة، وما يُمَثِّله ذلك من خطورة على الأخلاقيات العامة والعرف السائد في عموم الشعب المصري ذي الطبيعة المحافظة.

---

(١) سايكس بيكو: تفاهم سرِّيّ بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام ممتلكات الخلافة العثمانية بعد تهاويها في الحرب العالمية الأولى.
للمزيد انظر: جوزيف حجازي: سورية بلاد الشام.. تجزئة وطن حول اتفاقات سايكس-بيكو: دراسة وملف وثائقي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق، ط١: ١٩٩٩م.

(٢) محمد السماك: الأقليات بين العروبة والإسلام، ص١٣١، ١٣٢، ١٤٣.

٦- الإعلام:

يعود ذلك إلى السيطرة العلمانية على غالب الوسائل الإعلامية، بعدما حُرِّم الإعلام على أبناء الحركة الإسلامية منذ الخمسينيات من القرن الماضي، وهذه الفئة العلمانية -فضلاً عن انحيازها التلقائي ضد كل ما هو إسلامي- نجدها تكتب في كثير من الأحيان بمشاعرهم الموروثة من أيام مبارك، وهي التحفُّز ضد الإسلاميين، وتبنّي وجهة نظر النصارى في أي قضية.

٧- بعض الإسلاميين:

حيث يشارك بعض الإسلاميين في إشعال الفتنة الطائفية في بعض الأحيان، وهم حَسَنو النية؛ لانجرارهم وراء عاطفتهم الدينية الجياشة، وهو ما يخرج بهم عن نطاق الحكمة وحُسن اختيار التوقيت في بعض الأحيان، بما يُوقعهم في الكثير من الأخطاء، التي تُستغلُّ ضدهم، وتُضعف موقفهم.

وفي المقابل نجد بعض الإسلاميين ممن انسحقوا تحت أقدام الأمر الواقع يتساهلون أكثر كثيرًا من اللازم، بما يجعلنا نخشى

وقوعهم مستقبلاً في خطأ التفريط في حقوق المسلمين المصريين.

٨- غياب الأمن:

ساهم غياب الأمن كعود ثقاب في إشعال الفتنة الطائفية في مصر؛ وذلك من خلال أمرين:

أولاً: عدم القدرة الفعلية على ضبط الأمن ورصد الحوادث قبل وقوعها، ومتابعة الجناة وتقديم خدمة التأمين اللازم لبعض الأماكن الحيوية.

ثانيًا: شعور الناس بهذا الضعف يُشَجِّع بعض الأطراف غير المنضبطة على المخالفة، بما يساهم في اتساع نطاق الجرائم والأخطار.

٩- الحالة الاقتصادية:

ساهمت الأوضاع الاقتصادية المتردِّية في المناطق التي شهدت صراعات طائفية في تأجيج الفتنة؛ وذلك من خلال عُمق الشعور بالحنق على الحكومات المصرية المتتابعة، وتضاؤل الإحساس بهيبة الدولة وقدرتها على أداء الحقوق لأصحابها،

إضافة إلى استغلال بعض الجهات للحاجة الاقتصادية لدى الأفراد، في محاولة تجنيدهم لتنفيذ مخططات تزيد من اشتعال الفتنة.

١٠- فإذا أضفنا إلى العناصر السابقة **التراكم الهائل من الشحن المعنوي السلبي**، الذي استقرَّ في نفوس المصريين على مدار ثلاثين عامًا كاملة، والذي شكَّل البيئة الخصبة وهيَّأ الأوضاع الداخلية وجعلها قابلة للاشتعال في أية لحظة، نكون قد استخلصنا عشرة عناصر نعدُّها كأعواد الثقاب التي ساهمت في إشعال الفتنة الطائفية في مصر.

فتلك عشرة كاملة!

ويبقى السؤال الأهم، والذي يجب أن يشغل أذهان المصريين جميعًا من المسلمين والنصارى..

ما الحل لمشكلة الفتنة الطائفية في مصر؟

* * *

الحل لمشكلة الفتنة الطائفية في مصر

في رأيي إن الحل لأزمة الفتنة الطائفية المشتعلة في مصر ينبغي أن يكون على مستويين:

المستوى الأول: حل المشكلة على المدى القريب:

يتعين علينا إذا أردنا إطفاء نيران هذه الفتنة على المدى القريب ما يلي:

✍ يجب إقامة دولة قوية مخلصة عادلة:

دولة قوية ذات سيادة حقيقية على أرضها، وصاحبة قرار مستقلٍّ، لا تخضع فيه لإملاءات خارجية، أو ضغوط لأصحاب مصالح داخلية، وتكون دولة مخلصة لأبنائها حريصة على تحقيق طموحاتهم وتأمين مستقبل أبنائهم، كما أنها عادلة لا تقف مع طرف على حساب الآخر؛ القوي عندها ضعيف حتى تأخذ

الحق منه، والضعيف عندها قوي حتى تأخذ له حقه، بغضِّ النظر عن لونه أو قبيلته أو ديانته.

✍ الدفاع عن حقوق الأقليات لا يُلغي حق الأغلبية في أن تحكم:

كما نجاهد كثيرًا من أجل الدفاع عن حقوق الأقليات، ونعدُّ ذلك من الأخلاق الإسلامية الأصيلة، يجب علينا ألا نجور على حقِّ الأغلبية في اختيار المنهج الذي يحكمها، ويوافق الشريعة التي تؤمن بها، وتطمئن إلى العمل بقوانينها وتحقيق النهضة في ظل أحكامها.

الحلُّ القريب لهذه الفتنة يتطلب تهدئة للأوضاع؛ حتى نصل بهذا البلد إلى برِّ الأمان باختيار حكومة وطنية مخلصة تقود البلاد، حكومة نختارها جميعًا بكامل حريتنا وإرادتنا، وتُعَبِّر حقيقة عن آمال المصريين وطموحاتهم.

يا أهل مصر الكرام..

لقد صبرنا وتحمَّلنا عقودًا طويلة من الظلم والفساد والفقر، ألا نصبر ونتحمل بضعة شهور قليلة، حتى نصل بمصرنا

العزيزة إلى برِّ الأمان!!

أمَّا **المستوى الثاني**: فهو علاج هذه الفتنة على المدى البعيد، وهذا يتطلب ما يلي:

إزالة حالة الشحن المعنوي:

سيحدث هذا عندما يسود مصر جوٌّ صحِّيٌّ نستنشق فيه عبير الحرية والعدالة والمساواة، ونعمل فيه جميعًا من أجل بناء هذا الوطن وتنميته؛ ونحن مطمئنون إلى أن عائد هذه التنمية سننعم فيه مع أبنائنا، وذلك في مجتمع توزَّع فيه إيرادات الدولة بعدالة وشفافية، وتُكفل فيه الاحتياجات الأساسية لكل أفراده، دون النظر إلى نوعه أو دينه أو اتجاهه الفكري.

إتاحة الفرصة كاملة أمام النصارى للاندماج في المجتمع:

وذلك عندما تترسخ لدينا قاعدة إخوة الوطن الواحد، وهو مصر التي نعمل لها معًا لتحقيق نهضتها الشاملة، ونحن على اقتناع كامل بمبدأ المساواة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، هنا فقط سيفتح المجتمع ذراعيه لاحتضان أبنائه بصدق، وليس على

مستوى الاحتفالات الدينية الشكلية والمراسم البروتوكولية، عندها سيتحقق الشعار الذي سمعناه كثيرًا في ميدان التحرير أثناء الثورة المصرية المباركة؛ شعار: «مسلم ومسيحي يد واحدة»، فلن يستطيع أحد عنصري هذا الوطن النهوض دون الآخر، وبدهيًّا لن يستطيع أحد العنصرين تنحية الآخر أو طرده!

لقد كان رسول الله ﷺ يعتبر نفسه والأنبياء الذين سبقوه كحلقات في سلسلة واحدة، أو كلَبِنَاتٍ في بناء واحد؛ ومن ثَمَّ فلا مجال للتنازع أو الصراع أو التنافس أو المفاضلة.. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ. قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**»[1].

---

(١) البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين (٣٣٤٢)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م، ومسلم: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٢٢٨٦).

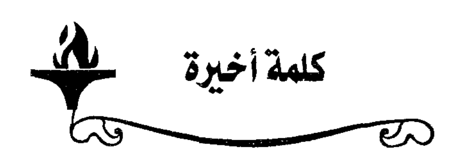
الحوار ثم الحوار لحلِّ كل المشاكل العالقة بين إخوة الوطن الواحد:

إذا تيقنَّا أن الشعب المصري يتكون من عنصرين اثنين هما المسلمون والنصارى، وأن هذا هو قدر الله لمصر؛ لفطنَّا إلى حقيقة أنه لا حلَّ للمشاكل العالقة بين إخوة الوطن إلاَّ بالحوار، ولقد علَّمنا النبي ﷺ الطريقة المثلى في التعامل مع غير المسلمين، فدلَّنا على أنه لا يكفي أن تعترف بوجود الآخرين، ولكن عليك -أيضًا- أن تحترمهم.. ولم يكن هذا الأمر اجتهادًا منه ﷺ دون وحي رباني أو أمر إلهي، بل كان موافقًا تمامًا لما جاء في كلام الله ﷻ في القرآن الكريم في شأن التعامل مع المخالفين لنا في العقيدة والدين..

يقول الله ﷻ في كتابه يعلمنا طريقة التحاور مع غير المسلمين: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٤-٢٦].

إن رسول الله ﷺ يعلم على وجه اليقين أنه على الحق والهدى، ومع ذلك أمره الله في تحاوره مع المخالفين أن يقول لهم: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾. إنها الأرضية المشتركة التي نقف عليها؛ أحدنا على حقٍّ والآخر على باطل، فلنتناقش ولنتحاور حتى نصل إلى الحقيقة الغائبة.. إنها طريقة الحوار المثلى، وغاية الأدب، ومنتهى سموِّ الأخلاق.





كلمة أخيرة

أقولها بصدق..

ليس أفضل لتحقيق الاستقرار في أوضاع مصر من تحكيم الشريعة الإسلامية..

- فهي التي ستُسَكِّن قلوب الأغلبية المسلمة..
- وهي التي ستحفظ حقوق الأقليات مهما تنوَّعت طوائفها..
- وهي التي ستُعيد لهذه الأمة عزَّتها؛ فلا يتجرَّأ عليها أحدٌ..
- وهي التي ستجعلنا جميعًا أهلاً لنزول بركات ورحمات الله ﷻ علينا..

فما أحوجنا في مصر -مسلمين ونصارى- إلى الشريعة الإسلامية، التي يُعَدُّ العدل مبدأ أساسيًّا من مبادئها، ليس فيه استثناء ولا تهاون؛ فهذا أمر رباني مباشر لنا جميعًا. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ

ﭐلۡفَحۡشَآءِ وَﭐلۡمُنكَرِ وَﭐلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء: ٥٨]. ويقول سبحانه: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥].

ولاحظ تكرار كلمة «الأمر» مع كلمة «العدل».. إن قضية العدل ليست قضية اختيارية أو من فضائل الأعمال، إنما هي أمر إلزامي لا تقوم الشريعة إلا به، ولا يستقيم لمؤمن أن يحكم بغيره.

كما أن حياة رسول الله ﷺ كانت مثالاً واقعيًّا لقيمة العدل، وظهر ذلك في كل كلماته وأفعاله..

فروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ**»، ذكر منهم: «**إِمَامٌ عَدْلٌ**»(١).

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال كذلك:

---

(١) البخاري: كتاب الصلاة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (٦٢٩)، وكتاب الرقاق، باب البكاء من خشية الله (٦١١٤)، وكتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (١٣٥٧)، وكتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب فضل من ترك الفواحش (٦٤٢١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١).

«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[١].

لقد جاءت كل هذه الأحاديث بألفاظ عامة لتشمل المسلمين وغير المسلمين؛ فالظلم مرفوض بكل صوره، ومحرَّم مهما كانت الظروف، وليس الاختلاف في العقيدة، أو في العرق والنسب، أو في العلاقة والرابطة القبلية مبرِّرًا أبدًا لأي درجة من درجاته.

ومع هذا الوضوح في التعبير إلا أن رسول الله ﷺ أراد أن يقطع السبيل على كل مسلم في أن يعتقد أن الظلم مسموح به - ولو بدرجة يسيرة- مع غير المسلمين، فقال في كلماتٍ ما يجب أن نحمله إلى كل إنسان على سطح الأرض؛ ليعلم مَنْ هو رسول الله ﷺ: **«أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٢].

---

(١) البخاري: كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض (٢٣٢١)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها (١٦١٢).

(٢) أبو داود (٣٠٥٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٨٥١١) عن عِدَّة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم دِنْيَة (أي لاصقي النسب)، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٢٦٥٥).

وعمومًا فإن هذا الموضوع -وهو دور الشريعة الإسلامية في حماية حقوق الأقليات الدينية في الدولة الإسلامية- هو موضوع غاية في الأهمية، وأسأل الله أن يُبارك لي في الوقت حتى أُخرج كتابًا خاصًّا يتحدَّث عن هذا الجانب الراقي من جوانب شريعتنا الغرَّاء..

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل..

راغب السرجاني

١٥ يونيو ٢٠١١م

فهرس الموضوعات

* * *

الأستاذ الدكتور راغب السرجاني



الأستاذ الدكتور راغب السرجاني: وُلِدَ عام ١٩٦٤م بمصر، وتخرَّج في كلية الطب جامعة القاهرة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف عام ١٩٨٨م، أتمَّ حفظ القرآن الكريم عام ١٩٩١م. ثم نال درجة الماجستير عام ١٩٩٢م من جامعة القاهرة بتقدير امتياز، ثم الدكتوراه بإشراف مشترك بين مصر وأمريكا عام ١٩٩٨م (في جراحة المسالك البولية والكلى).

- أستاذ بكلية الطب جامعة القاهرة.
- رئيس مجلس إدارة مركز الحضارة للدراسات التاريخية بالقاهرة.
- صاحب فكرة موقع قصة الإسلام والمشرف عليه (أكبر موقع للتاريخ الإسلامي) **www.islamstory.com**.
- باحث ومفكر إسلامي، وله اهتمام خاص بالتاريخ الإسلامي.
- ينطلق مشروعه الفكري «معًا نبني خير أمة» من دراسة التاريخ الإسلامي دراسة دقيقة مستوعبة، تحقق للأمة عدة أهداف؛ منها:

- استنباط عوامل النهضة والاستفادة منها في إعادة بناء الأمة.

- بعث الأمل في نفوس المسلمين، وحثهم على العلم النافع والعمل البناء؛ لتحقيق الهدف.
- تنقية التاريخ الإسلامي وإبراز الوجه الحضاري فيه.

- وعلى مدار سنوات عديدة كانت له إسهامات علمية ودعوية؛ ما بين محاضراتٍ وكتبٍ ومقالاتٍ وتحليلاتٍ؛ عبر رحلاته الدعوية إلى شتى أنحاء العالم.

- صَدَرَ له حتى الآن ٤٠ كتابًا في التاريخ والفكر الإسلامي؛ هي:

١) **أسوة للعالمين (من هو محمد ﷺ): الحائز على جائزة المركز الإسلامي لدعاة التوحيد والسُّنَّة عام ٢٠١٠م.**

٢) **(ماذا قدم المسلمون للعالم.. إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية): الحائز على جائزة الدولة التقديرية (جائزة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) عام ٢٠٠٩م.**

٣) **(الرحمة في حياة الرسول ﷺ): الحائز على جائزة المركز الأول في مسابقة البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ﷺ عام ٢٠٠٧م.**

٤) **المشترك الإنساني.. نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب**

٥) **فن التعامل النبوي مع غير المسلمين**

٦) **قصة الأندلس من البداية إلى السقوط**

٧) **قصة تونس من البداية إلى ثورة ٢٠١١م**

٨) **قصة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله**

٩) الشيعة.. نضال أم ضلال؟!
١٠) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت
١١) قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي
١٢) العلم وبناء الأمم - دراسة تأصيلية في بناء الدولة وتنميتها
١٣) روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية
١٤) أخلاق الحروب في السنة النبوية
١٥) قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية
١٦) فلسطين.. واجبات الأمة
١٧) وشهد شاهد من أهلها
١٨) رحماء بينهم - قصة التكافل والإغاثة في الحضارة
١٩) بين التاريخ والواقع - أربعة أجزاء
٢٠) وخُلق الإنسان ضعيفًا
٢١) نقطة ومن أول السطر
٢٢) رمضان ونصر الأمة
٢٣) أمة لن تموت
٢٤) رسالة إلى شباب الأمة
٢٥) كيف تحافظ على صلاة الفجر
٢٦) كيف تحفظ القرآن الكريم
٢٧) القراءة منهج حياة

٢٨) المقاطعة.. فريضة شرعية وضرورة قومية

٢٩) أخي الطبيب قاطع

٣٠) أنت وفلسطين

٣١) فلسطين لن تضيع.. كيف؟

٣٢) لسنا في زمان أبرهة

٣٣) إلا تنصروه ﷺ

٣٤) التعذيب في سجون الحرية

٣٥) رمضان وبناء الأمة

٣٦) الحج ليس للحجاج فقط

٣٧) من يشتري الجنة

٣٨) أسلاك شائكة

٣٩) الفتنة الطائفية في مصر.. الجذور.. الواقع.. المستقبل

٤٠) كيف تختار رئيس الجمهورية

- يقدم عدة برامج وحوارات على الفضائيات والإذاعات المختلفة؛ منها: اقرأ، الرسالة، الحوار، الناس، القدس، المستقبل، العربية، الجزيرة، الجزيرة مباشر، والسودان، وإذاعة أم القيوين، وإذاعة القرآن الكريم بفلسطين والأردن ولبنان والسودان والإمارات، وغيرها.

- له مئات المحاضرات والأشرطة الإسلامية؛ يتحدث فيها عن السيرة النبوية والصحابة، وتاريخ الأندلس، وقصة التتار، وغير ذلك.


الآن

١٧) رحماء بينهم.. قصة التكافل والإغاثة في الحضارة
١٨) بين التاريخ والواقع – أربعة أجزاء
١٩) وخُلق الإنسان ضعيفًا
٢٠) نقطة ومن أول السطر
٢١) رمضان ونصر الأمة
٢٢) رسالة إلى شباب الأمة
٢٣) كيف تحافظ على صلاة الفجر
٢٤) كيف تحفظ القرآن الكريم
٢٥) القراءة منهج حياة
٢٦) لسنا في زمان أبرهة
٢٧) إلا تنصروه ﷺ
٢٨) التعذيب في سجون الحرية
٢٩) الحج ليس للحجاج فقط
٣٠) من يشتري الجنة
٣١) أسلاك شائكة
٣٢) الفتنة الطائفية في مصر.. الجذور.. الواقع.. المستقبل
٣٣) كيف تختار رئيس الجمهورية